

الروس عند ابن فضلان

هل هم سلافيون أم إسكندنافيةون؟

«مقاربة نقدية»

باتريس لاجوا(*)
♦ ترجمة: كامل العامري

المقدمة

مع سقوط الاتحاد السوفياتي وظهور علم تاريخي روسي متحرر أخيراً من أغلاله الأيديولوجية، أصبح الخلاف بين النورمانديين والمناهضين للنورمانديين حول تأسيس دولة الروس لا أساس له. حتى لو كانت بعض الأصوات غير الموثوقة لا تزال تحاول أن ينسب إنشاء روسيا القديمة إلى السلافيين وحدهم. الحقيقة هي أن الإسكندنافيةين كان لهم حضورهم، وكان نشاطهم في فجر تاريخ روسيا أمراً بالغ الأهمية. ومع ذلك، لم يترك هذا النزاع التاريخي بصماته في روسيا فقط، بل وجد علماء الدول الإسكندنافية القديمة أحياناً صعوبة في تصديق أن المواد أو النصوص أو الآثار القادمة من روسيا يمكن أن تكون أي شيء آخر غير سويدية.

وهكذا، على المستوى الأثري البسيط، أشار فيدور اندروشوك Fjodor Androshchuk في عام 2008 إلى أنه إذا تمكن باحثو أوروبا الشرقية من ملاحظة الظهور السريع، على أشياء من التقاليد الإسكندنافية المكتشفة في روسيا وأوكرانيا، لمظاهر هجينة من خلال ما يبدو على إنتاجها المحلي، فإن علماء الآثار الإسكندنافيةين يجدون صعوبة كبيرة في التعرف على هذه الحقيقة:

(*) جامعة كاين، نورماندي - فرنسا.

إلى السفينة، وألبسوه ثيابه الجديدة، وأدخلوه القبة التي في السفينة، وأجلسوه على المساند وبجانبه النبيذ والفواكه والريحان، وخبز ولحم وبصل طرحوه بين يديه، وبسلاحه، وبدابتين وبقرتين وديكاً ودجاجة قطعوها وألقوا بلحمها على السفينة. والجارية التي نذرت نفسها للموت معه تذهب وتجيء وتنتقل من قبة إلى قبة، حيث يضاجعها الرجال ويقولون لها: قولي لمولاك إنما فعلت هذا من محبتك فلا يتوقف ابن فضلان عن تعقب التفاصيل، فيأتون بالجارية ويحملونها على أكفهم حتى تشرف على باب السفينة ثلاث مرات، فتقول في المرة الأولى: هو ذا أبي وأمي، وفي الثانية: أرى جميع قرابتي الموتى قعوداً، وفي الثالثة: هو ذا أرى سيدي قاعداً في الجنة، ثم يأتي دور المرأة العجوز، التي تلعب، حسب وصف ابن فضلان، دور العراف والشامان المقدس، والتي تسمى ملك الموت والمكلفة بقتل الجارية، فتدفعها إلى السفينة، وتدفع إليها قدحاً من النبيذ، فتغني وتشربه، بعدها تدخلها إلى القبة التي فيها سيدها، وهناك يدخل ستة رجال، فيجامعوا الجارية ويضجعونها إلى جانب مولاها. وتجعل العجوز في عنق الجارية حبلاً تدفعه إلى اثنين من الرجال ليجذباها، ثم تقبل ومعها خنجر فتدخله في أضلاعها حتى تموت، والرجال في الخارج يضربون على التراس ليحدثوا ضجيجاً يمنع سماع صوتها لكي لا تخاف الجوارى الأخريات الموت مع سادتهن، ثم ينتهي المشهد بإشعال السفينة من قبل أقرب الناس إلى الميت، ثم يبادر الجميع بإلقاء الخشب المحرق، فتأخذ النار في الحطب ثم السفينة ثم القبة والرجل والجارية وجميع ما فيها)

عندما نستشير أعمال ومقالات المتخصصين في

كم من الوقت احتفظ (الفايكنج) بهويتهم؟ اقترح بعض علماء الآثار أن الإسكندنافية تم استيعابهم بسرعة. إحدى الحجج التي تدعم هذه الفكرة هي إنتاج في بعض مراكز روسيا، أشياء تعدُّ هجينة، تُظهر سمات كل من الاسكندنافية والثقافات المحلية. وقد أيد علماء الآثار الروس هذا الرأي، بينما لا يعدُّ الإسكندنافيون هذه الأشياء بوصفها أشياء غير إسكندنافية⁽¹⁾.

لا تنطبق وجهة النظر العرقية الإسكندنافية هذه على الأشياء فحسب، بل على النصوص أيضاً. هكذا كانت الشهادة الشهيرة للرحالة العربي ابن فضلان. في القرن العاشر الميلادي، الذي أرسله الخليفة من بغداد إلى بلغار الفولغا. لقد ترك ملاحظات وصفية عن رحلته، بعضها يشكل استطرادات مختلفة عن الشعوب التي التقى بها. وكان الروس أحد هذه الشعوب، التي التقى بها بين البلغار أو الخزر، وشاهد، في حضوره، مراسم جنازة لا تزال مشهورة بين المؤرخين: يتم وضع الزعيم الروحي، الذي يعد موضوع القصة. في سفينة مع امرأة يضحى بها في هذه المناسبة، ثم تحرق الجثتان معا. (فلما كان اليوم الذي يُحرق فيه الميت والجارية حضر ابن فضلان إلى النهر حيث السفينة التي يتم فيها الحرق، فجاءوا بسريير فوضعه على السفينة وغشوه بالمضرجات (=المساند) والديباج الرومي ومساند الديباج الرومي، وتولت امرأة عجوز تُسمى ملك الموت أمر فرش السرير، وأحضروا الميت من القبر

(1) F. Androschuk, «Vikings in the East», in The Viking World, S. Brink and N. Price (eds), London and New York, Routledge, 2008, p. 517-542. ص. 533، مع بيليوغرافيا،

الديانة الاسكندنافية القديمة، يمكننا أن نرى شيئاً واحداً فقط: هذا النص لابن فضلان يتم الاستشهاد به بشكل منهجي، وفي أغلب الأحيان من دون أدنى تراجع.

قصة ابن فضلان بين علماء العالم الاسكندنافي القديم.

في عمله حول شعر الأيدا⁽²⁾، يقتبس ريجيس بوير، في الفصل الخاص بالموت، ترجمة ماريوس كانارد الكاملة للمقطع الذي يثير اهتمامنا، من دون التشكيك أبداً في هوية الروس المذكورة. والأفضل من ذلك، أنه يكتب: «أخيراً، قد لا يمثل» الروس «جميع الألمان، إذا أردنا، والنتيجة هي أنهم يمثلون على الأقل الإسكندنافيين وهم وحدهم. وفي عمل آخر مكرس بشكل عام للفايكنج، يعود إلى السؤال ويخلص:

بدا لي أن هذا العرض الطويل لا غنى عنه في

محاولة لحل مشكلة لم يبد لي أبداً أنها قائمة. لأنه يمكننا تغيير زاوية نظرنا وطلب أنواع أخرى من الشهادات للتحقق من أن الروس، مؤسسو الدولة الروسية، هم بالفعل إسكندنافيون⁽³⁾.

ثم يستشهد بالجزء التي رواها ابن فضلان. ومع ذلك، فقد خفف من ملاحظاته بإضافة:

إن السويديين الروس⁽⁴⁾ الذين قَدّموا إلينا في هذه القصة الاستثنائية هم في الحقيقة سلافيون سابقاً؛ فالزعيم الروسي الذي يتم الاحتفال بجنائزه يرتدي سترة بأزرار، وهي تفاصيل ملابس غير معروفة لدى الإسكندنافيين في القرن العاشر⁽⁵⁾.

وابعد من ذلك:

هذه الشهادة تترك الباحث الحالي مذهولاً. فإلى جانب الملاحظات التي تم التحقق منها تماماً، هناك عدد من الملاحظات التي تثير التساؤل - إلى جانب السؤال عما إذا كان خيال المؤلف لم يتغلب على الدقة العلمية - إذا لم يكن الروس الذين يفهم لنا، في الواقع، مزيجاً من الإسكندنافيين ومن أولئك العبيد الذين كانوا يشتغلون في تجارة مثمرة⁽⁶⁾.

لذلك فإن الرأي محسوم: فهؤلاء الروس هم إسكندنافيون ولا غير، وما ليس بروسي في نص ابن فضلان يعود إلى عبيدهم. لقد عثر على هذا النوع من الموقف على نطاق واسع في المجال العلمي الأنجلو ساكسوني. وهكذا، وضع توماس أ. دوباوا اقتباساً من ابن فضلان في بداية الفصل الخاص

(2) أشعار الإيدا هي تسمية حديثة لمجموعة غير مسماة من القصائد المجهولة النوردية القديمة، وهي تختلف عن الإيدا التي كتبها سنوري سترلسون. [1][2][3] وتوجد عدة نسخ من هذه الأشعار ترجع جميعها إلى نسخة من مخطوطة تعود إلى القرون الوسطى الأيسلندية وتعرف باسم أسفار الريجيوس. يمكن القول إن هذه الأسفار هي المصدر الذي خرجت منه الأساطير الإسكندنافية والأساطير البطولية الجرمانية. وكان لها تأثير قوي في الآداب الإسكندنافية منذ أوائل القرن التاسع عشر، لا لقصصها فقط وإنما أيضاً لقوة البصيرة التي تنطوي عليها والجودة الدرامية للعديد من القصائد المكتوبة فيها. وقد أصبحت أيضاً نموذجاً ملهماً، خاصة للغات الشمالية، للعديد من الابتكارات اللاحقة في الأوزان الشعرية. وقد أثرت هذه الأشعار في عديد من الشعراء الذين اعترفوا شخصياً بدينهم إلى أسفار الريجيوس، كفيلهيلم إيكيلند وأوغست ستريندبيرغ وجيه آر آر تولكين وعزرا باوند وخورخي لويس بورخيس وكارين بوي

(3) R. Boyer, Les Vikings : histoire et civilisation, Paris, Plon, 1992,

(4) R. Boyer tient en effet pour acquis le fait que le terme Rus' désigne des Suédois.

(5) R. Boyer, Les Vikings..., op. cit., p. 177.

(6) Ibid., p. 213.

المتعلقة بالأيام المحتملة للنشاط التي تسبق الدفن الفعلي أو حرق الجثة وتضعها في سياقها⁽⁹⁾.

حتى ينس بيتر شجودت (ens Peter Schjødt)، في مقال مفصل، يصر على أن شهادة ابن فضلان هي «مصدر موثوق حول الطقوس الجنائزية الإسكندنافية القديمة» لأن الطقوس التي يصفها تتبع هيكلًا عالميًا موجودًا في المصادر الإسكندنافية وتقدم ذات الإطار الأيديولوجي⁽¹⁰⁾.

يبقى الموقف الأكثر إثارة للدهشة هو موقف عالم الآثار البولندي فلاديسلاف دوتشكو، الذي استخدم هذا النص على نطاق واسع من كتاب حديث عن الإسكندنافية في روسيا، لكنه وجه نقدًا خفيفًا له:

لقد كان بالتأكيد مصدرًا فريدًا، ومن المفهوم أنه جذب انتباه الباحثين. فقد عدَّ العلماء السلافيون، ولدَّة طويلة، أن مراسم الجنائزية هذه مراسم سلافية، بينما بالنسبة للعلماء الغربيين كانت عادة إسكندنافية.

وأضاف:

على الرغم من أن بعض عناصر الطقوس الموصوفة قد تكون غريبة عن الثقافة الإسكندنافية، وقد أخذت من الشرق، إلا أن جوهر مراسم الجنائزية

بالموت في كتابه عن الدين الإسكندنافي، من دون أن يعلق عليه. ومع هذا، يقول بوضوح:

بالمناسبة، لقد وصف ابن فضلان الطقوس الوثنية بالتفصيل في شهادته الشهيرة حول جنازة زعيم الفايكنج في نهر الفولغا⁽⁷⁾.

لقد كتب بيتر جي فوت وديفيد م. ويلسون بشكل لا لبس فيه، في عام 1970: «من المسلم به عمومًا أن الرحالة العربي ابن فضلان وصف مراسم جنازة نوراسية (إسكندنافية) عندما كتب عن لقائه بشعب يدعى الروسية». ومع ذلك، فهم على درجات إلى حد ما:

يحدث هذا في روسيا (والعديد من العلماء الروس لا يقبلون هذا الوصف على أنه وصف لمراسم إسكندنافية)، حيث كان النورمانديون بالتأكيد موضوعا للتأثيرات الأجنبية، وربما على وجه التحديد تأثيرات الأتراك (البلغار) في نهر الفولغا⁽⁸⁾.

الفروق الدقيقة التي لم يُعثر عليها لدى نيل ستوبيل برايس (عالم الآثار الإنجليزي المتخصص في دراسة العصر الإسكندنافي للفايكنج) في عام 2008:

لا يمكن المبالغة في تقدير الأهمية المركزية لهذا النص لكي نفهم مدافن مدَّة الفايكنج، خاصة لأنه يوضح أن ما نراه في البقايا الأثرية ليس سوى «زخرفة» في نهاية «غرفة»، تاركًا فقط القرائن

(9) N. Price, « Dying and the Dead : Viking Age Mortuary Behaviour », dans The Viking World, op. cit., p. 257-273 ; p. 267.

(10) J. P. Schjødt, «Ibn Fadlân's Account of a Rus Funeral: to what Degree does it Reflect Nordic Myths?», dans Reflections on Old Norse Myths, P. Hermann, J. P. Schjødt et R. T. Kristensen (éd.), Turnhout, Brepols (Studies in Viking and Medieval Scandinavia, 1), 2007, p. 133-148.

(7) T. A. DuBois, Nordic Religions in the Viking Age, Philadelphia, Pennsylvania University Press, 1999, p. 70 et 123.

(8) P. G. Foote et D. M. Wilson, The Viking Achievement : the Society and Culture of Early Medieval Scandinavia, Londres, Sidgwick and Jackson, 1980, p. 407-408.

يجب عدّه اسكندنافية وليس أكثر⁽¹¹⁾.

يمكن للمرء أن يضاعف من الأمثلة بالرجوع إلى المقالات: وبالتالي فإن موقف الإسكندنافيين في التعامل مع الأسئلة الدينية حول هذا النص هو إجماع تقريباً؛ فالروس الذين التقى به ابن فضلان هم سويديون. لكن ماذا يقول النص بالضبط؟

الأسلحة

في الجزء الأول، يصف المؤلف بنية الأفراد الذين قابلهم. إنهم أفضل الرجال الذين رأهم على الإطلاق. ومع ذلك، يشعر المرء في وصفه بالقدح التقليدي لـ «متحضر» مقارنة بـ «بربري»: الروسية قذرون ولديهم عادات صحية مشكوك فيها. يمكن للمرء أن يتساءل هنا إذا لم تكن لدينا اعتبارات مماثلة لتلك الاعتبارات الخاصة بالمؤلفين الكلاسيكيين أمام الغال، فهم بالضرورة ذوو شعر أشعث ومتوحشون. ويخبرنا من بين التفاصيل التي قدمها، أن كل روسي يحمل فأساً وسيفاً ورمحاً. ويضيف: أن «سيوفهم»⁽¹²⁾ لها نصول محززة عريضة تشبه تلك الخاصة بالفرنجة»⁽¹³⁾. في الواقع، في المقابر القليلة من النوع الاسكندنافي

(11) W. Duczko, Viking Rus. Studies on the Presence of Scandinavians in Eastern Europe, Leiden / Boston, Brill (The Northern World, 12), 2004, p. 138.

(12) يستخدم المترجم كلمة «sabre» لتعني السيف في استخدامها القديم أي: سلاح ذو نصل واحد بشفرة منحنية إلى حد ما.

(13) Voyageurs arabes : Ibn Fadlan, Ibn Jubayr, Ibn Battuta et un auteur anonyme, P. Charles-Dominique (éd., trad.), Paris, Gallimard (Bibliothèque de la Pléiade, 413), 1995, p. 58.

التي تم اكتشافها في روسيا، كان تجميع الفأس / السيف / الرمح متكرراً نسبياً⁽¹⁴⁾. وملاحظة الرحالة حول تشابه السيوف مع سيوف الفرنجة صحيحة: السيوف من موقع Gnezdovo، التي يقال إن قبورها إسكندنافية، لها أصل ررنجي⁽¹⁵⁾. حتى أن أحدهم يحمل علامة UI-fbehrht حداد من ضفاف نهر الراين. (وهذه العلامة Ulfberht تعني النسخ الحديث لاسم نموذج لسيف الفايننج المستخدم في الدول الاسكندنافية في الأعوام 800 - 1000. هذه السيوف صنعت من الفولاذ الذي لم يتم إعادة إنتاج جودته في أوروبا قبل الثورة الصناعية. تم استرداد 171 سيفاً، ولكن ثبت أن بضعة عشرات منها فقط أصلية. يرجع تاريخ أقدم السيوف إلى حوالي عام 850 م). إن الحقيقة هي أن الفايننج استخدموا سيوف الفرنجة على نطاق واسع. ومع ذلك، من ناحية أخرى، في عام 1925، في الأطروحة العظيمة عن الآثار السلافية التي كتبها لوبور نيدرل، هناك لوحة ذات أهمية خاصة: توضح أنه من القرن التاسع إلى القرن العاشر، استعمل العالم السلافي بأكمله (باستثناء السلاف الجنوبيين، الذين لم يتم توثيقهم في ذلك الوقت) سيوفا من النوع الافرنجي⁽¹⁶⁾. هذا العمل، القديم بالفعل، لا يزال صالحاً في هذه النقطة. فقد

(14) Par exemple a Priladozh'e : W. Duczko, Viking Rus..., op. cit., fig. 21b.

(15) Ibid., p. 172.

(16) L. Niederle, Slovanske starožitnosti, XI, Život starych Slovanů, III, 2, Prague, Nákladem Bursika & Kohouta, 1925, p. 528, fig. 140.

حيث وجدنا سيفاً يعود تاريخه إلى القرن العاشر أو الحادي عشر، مع علامة حدّاد بالأحرف السيريلية: ليودوتا/الحداد (19) КОВАЛЬ/Людота سيف آخر، اكتشف في منطقة كييف، يحمل أيضاً نقشاً سيريلياً، لكنه للأسف غير مكتمل: Слав (..) («سلاف (..)»)⁽²⁰⁾. يعود تاريخه إلى القرن العاشر، وطرزاه كارولينجيني. لذا فإن معيار التسلح ليس مهماً: يتحدث ابن فضلان ببساطة عن سيوف «تشبه سيوف الفرنجة»⁽²¹⁾، ومن ثمّ فإن هذا الاقتباس ليس كافياً في حد ذاته، حيث اتضح أن كلا من الإسكندنافيين والسلاف الشرقيين صنعوا نسخاً من هذا النوع من السيوف.

المعابد

ثم يقدم ابن فضلان وصفاً للمزار الروحي وطريقة التعبد آنذاك. وإذا كان من الصعب الاستفادة من المعلومات، فإن وصف الهيكل مثير

(19) T. V. Rozhdestvenskaya, Drevnerusskaya epigrafika X-XV vekov: Uchebnoe posobie, Saint-Petersbourg, Université d'État, 1991, p. 42 ; A. N. Kirpichnikov, « O nachale proizvodstva mechej na Rusi », dans Obschestvo, ekonomika, kul'tura i iskusstvo slavyan, V. V. Sedov (ed.), VI Mezhdunarodnyj kongress slavyanskoj arkheologii, 26-31.08 1996, Trudy, 4, Moscou, Editorial URSS, 1998, p. 246-251. Épée découverte a Foshchevataya, dans le gouvernement de Poltava (aujourd'hui région Mirgorod, oblast'Poltava, Ukraine).

(20) A. N. Kirpichnikov, « O nachale proizvodstva mechej na Rusi », art. cit., p. 246-251.

(21) Il n'est d'ailleurs pas le seul auteur arabe a mentionner des épées de fabrication « rous » : ibid. (citant par exemple Ibn Rustam).

[في هذا الهامش ربما تأتي الإشارة إلى ابن رستم، ويقصد بذلك التنويه إلى كتاب (الأمير مرزبان على لسان الحيوان) لمولفه مرزبان بن رستم بن شروين، على غرار كليله ودمنة لأبن المقفع - المترجم]

نشر عالم الآثار البولندي ليخ ماريك Lech Marek مؤخراً قائمة بالاكشافات التي تم إجراؤها في أوروبا الوسطى والشرقية، مما يوضح مرة أخرى أن هذه السيوف ذات الطراز الافرنجي كانت مستعملة في جميع أنحاء العالم السلافي، وبكثافات أعلى بشكل واضح كلما اقترب المرء من عالم الفرنجة: وهكذا كانت هذه الاكتشافات عديدة في الأراضي البولندية والتشيكية والسلوفاكية، وأقل منها بين السلاف الجنوبيين والسلاف الشرقيين⁽¹⁷⁾. يمكننا أن نرى أيضاً أن معظم هذه السيوف المكتشفة بين السلاف الجنوبيين تنتمي إلى النوع K Peterse، وهو نوع افرنجي، ومن ثمّ لا داعي لاستدعاء الفايكنج أو الفارانجيين لتفسير وجودهم في البلقان، مثلما يقترح في بعض الأحيان⁽¹⁸⁾. في الواقع، كانت هذه السيوف الفرنجية العظيمة ناجحة بشكل ملحوظ وتم نسخها في كل مكان تقريباً، في بريطانيا العظمى، والدول الاسكندنافية، وحتى بين الروس،

(17) L. Marek, Early Medieval Swords from Central and Eastern Europe. Dilemmas of an Archaeologist and a Student of Arms, 2005, Wrocław, Wydawnictwo Uniwersytetu Wrocławskiego, inventaire p. 115-149. Chez les Slaves de l'Est, on connaît bien sur le site de Gnezdovo, mais aussi Kiev, Chernigov, Priladozh'e, Shestovitsa, etc.

=انظر لـ ماريك، سيوف العصور الوسطى المبكرة من وسط وشرق أوروبا. معضلات عالم آثار وتلميذ سلاح، فروتسواف، دار النشر في جامعة فروتسواف، ص-149 115-. من بين السلاف الشرقيين، نعرف جيداً موقع كنزدوفا، ولكن أيضاً كييف، تشرنيغوف، بريلادوزه، شيستوفيتسا، إلخ.

(18) V. Jotov, Vikingite na Balkanite / The Vikings on the Balkans, Varna, Musée archéologique, 2003.

صوفي غراسلند Anne-Sofie Gräslund، نسبوها المزار الذي وصفه ابن فضلان إلى الإسكندنافيةين وحدهم⁽²⁷⁾.

من ناحية أخرى، وفي وقت مبكر من عام 1953، اقترح عالم الآثار السوفيتي بوريس ريباكوف إعادة الهيكل الذي رآه ابن فضلان: صنم مركزي يوضع تحت مظلة مدعومة بأربعة أعمدة، ثم دائرة من الأصنام، وأخيراً حاجز منخفض⁽²⁸⁾.

كان الأمر بالطبع افتراضياً للغاية مع بعض التفاصيل من خيال بوريس ريباكوف، مثل السقف أو المظلة التي تغطي المعبود الرئيس. ومع ذلك، بعد مدة وجيزة، تقدم علم الآثار فيما يخص المعابد السلافية بشكل كبير للغاية. ولا يمكن إنكار أن مخططاتها تشبه إلى حد بعيد تلك التي اقترحها ابن فضلان. أشهرها (أفضل ما تم نشره على أي حال) هو جبل بوجيت (تمثال مركزي محاط بثماني حفر، اثنتان منها تحتويان على جثث بشرية)⁽²⁹⁾، ضريح جوروديششي في توشمليا

للاهتمام. إنه «خشبة طويلة منصوبة، لها وجه يشبه وجه الإنسان، وحولها صور صغار، وخلف تلك الصور خشب طوال، قد نصبت في الأرض»⁽²²⁾. حاول بعض الباحثين ربط هذا الهيكل بنوع من الهياكل المقدسة الإسكندنافية يسمى ستاف⁽²³⁾ stav. والستاف عبارة عن عصا خشبية (أو ربما بعض هذه الهياكل من حجر) مثبتة في الأرض⁽²⁴⁾ ومحاطة بحاجز، وكل ذلك يشكل ستافجار⁽²⁵⁾ tavgard. لسوء الحظ، لم يتم العثور على أي منها اثناء التنقيب في العالم الإسكندنافي - وبالتالي ظل هيكلها افتراضياً إلى حد كبير - في حين أن الأنواع الأخرى من الأماكن المقدسة معروفة جيداً هناك⁽²⁶⁾. ومع ذلك، فإن بعض المؤلفين، مثل أن

(22) Voyageurs arabes..., op. cit., p. 59.

(23) W. Duczko, Viking Rus..., op. cit., p. 90.

(24) Et le terme stav signifie bien

«bâton», «pieu», voire «sceptre», pas «poteau» ni «pilier».

(25) أفضل مصدر لدينا حول هذا الموضوع هو قانون وتاريخ جزيرة غوتلاند (بالسويدية Gotland) [وهي جزيرة سويدية تقع في بحر البلطيق على بعد 90 كم من البر السويدي. عاصمة الجزيرة هي مدينة فيسبي. تبلغ مساحة جزيرة غوتلاند نحو 3140 كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها نحو 57,122 نسمة حسب إحصائيات سنة 2007م]، وهو تشريع متأخر مخصص لـ Gauti، والذي يحظر العادات القديمة، بما في ذلك التضحية بـ «الآلهة الوثنية والأضرحة و tavgardar». انظر حول هذا الموضوع: I. Olsson، «Stavgardsproblemet - ännu en gan»، Fornvannen. 87، 1992، p. 91-97..

(26) En revanche, le terme stav entre couramment en composition dans des toponymes: S. Brink، «Cult Sites in Northern Sweden», dans Old Norse and Finnish Religions and Cultic Place-names : Based on Papers Read at the Symposium on Encounters between Religions in Old Nordic Times and on Cultic Place-names Held at Abo, Finland, on the 19th-21st of August 1987, T. Ahlbäck (éd.), Stockholm, Almqvist & Wiksell (Scripta Instituti Donneriani Aboensis, 13), 1990, p. 458-489, p. 478.

(27) A.-S. Gräslund، «The Material Culture of Old Norse Religion»، dans The Viking World, op. cit., p. 249-256, p. 253.

(28) B. Rybakov، «Iskusstvo drevnikh Slavyan»، dans Istoriya russkogo iskusstva, I. E. Grabar' et V. N. Lazarev (éd.), t. 1, Moscou, Izdatel'stvo Akademii Nauk SSSR, 1953, p. 39-91, p. 87.

(29) I. P. Rusanova et B. A. Timoshchuk، Yazycheskie svyatilishcha drevnikh slavyan, Moscou, Nauchno-issledovatel'skij arkheologicheskiy tsentr «APXE»، 1993, pl. 22. Bogit' village Rashtivtsy, région Gusyatin, oblast' Ternopol', Ukraine.

نجد وصفاً لمعبد محتمل من هذا النوع في سيرة أوتو بامبرغ، مبشر السلاف الغربيين في القرن الثاني عشر. وهكذا تخبرنا حياة هذا القديس من خلال إيبو عن مدينة ولين (حالياً في بولندا)، التي يسميها جولين والتي «أسسها وسمّاها يوليوس قيصر، وفيها غرس رمحه في عمود ذي حجم رائع، تكريماً له». بعد ذلك بقليل، يخبرنا إيبو نفسه أن «التماثيل الكبيرة والصغيرة، التي كانت في الهواء الطلق، أحرقت الأسقف المتدين»⁽³⁴⁾.

لذلك نحن على يقين من أن هذا المعبد في الهواء الطلق كان مصنوعاً من عمود خشبي عملاق وتمثيل. ومع ذلك، يعتقد بعض الباحثين أن جزيرة ولين كانت لعدة عقود مقراً لمستعمرة الفايكنج، جومسبورغ، التي دمرها الملك الدنماركي ماغنوس لو بون⁽³⁵⁾ عام 1043. لذلك لا يمكننا أن نكون متأكدين تماماً من أن المعبد الذي وصفه إيبو بعد قرن من الزمان هو معبد سلافي.

من ناحية أخرى، أجريت تنقيبات عن آخر، لم توثقه مصادر مكتوبة، في جمهورية التشيك، في بوهانسكو⁽³⁶⁾. ويتكون من عمود مركزي كبير

(34) Ebonis Vita S. Ottonis episcopi Babenbergensis, III, 1 ; d'après L. P. Słupecki, Slavonic Pagan Sanctuaries, Varsovie, Académie polonaise des Sciences, Institut d'archéologie et d'ethnologie, 1994, p. 85.

(35) Sur Jomsborg, voir J. Morawiec, Viking among the Slavs. Jomsborg and the Jomsvikings in Old Norse Tradition, Vienne, Fassbænder (Studia Mediaevalia Septentrionalia, 17), 2009.

(36) Z. Váňa, Le monde slave ancien, Paris, Éditions Cercle d'Art, 1983, p. 92 ; et surtout V. Turčan, « Old-Slavonic Sanctuaries in Czechia and Slovakia », Studia Mythologica Slavica, 4, 2001, p. 97-116, p. 101, avec bibliographie antérieure.

(تمثال مركزي محاط بسور)⁽³⁰⁾، وخودوزوفيشي Khodosovichi (تمثال مركزي محاط بسور، ثم بأربع حفر)⁽³¹⁾، تمثال Pskov (تمثال مركزي مصحوب بحفرة، وتحيط به تماثيل أخرى)⁽³²⁾، وهذا الأخير يقع داخل «حقل كورغانس» - kur-ganes، حيث تلال المدافن)، أو الأكثر شهرة، تلال بيرين في نوفغورود (تمثال مركزي على تل، محاط بثمانية حفر)⁽³³⁾. على الرغم من الشكوك في طبيعة المعابد في مواقع بسكوف وبيرين مؤخراً إلا أنه يجب الاعتراف بأن هذه الهياكل موجودة ولكنها ليست خاصة بالسلاف الشرقيين. وهكذا

(30) P. N. Tret'yakov, « Gorodishcha-svyatilishcha levoberezhnoj Smolenshchiny », Sovetskaya arkheologiya, 4, 1958, p. 170-186. Ce sanctuaire ressortissant de la culture de Tushemlya, sans doute détruit avant le viie siècle, est probablement balte, meme si l'on y a découvert du matériel de la culture post-Zarubintsy, laquelle est la première culture archéologique slave assurément identifiée : M. Kazanski, Les Slaves. Les origines, ier-viie siècle, Paris, Errance, 1999, p. 10-19. Tushemlya : région Pochinok, oblast' Smolensk, Russie.

(31) V. V. Sedov, Vostochnye slavyane v VI-XIII vekakh, Moscou, Nauka, 1982, p. 287. Khodosovichi : région Rogachev, oblast' Gomel', Biélorussie.

(32) I. K. Labutina, « Yazycheskoe svyatilishche Pskova », dans Istoriya i kul'tura drevnerusskogo goroda, G. A. Fedorov-Davydov (éd.), Moscou, Université d'État, 1989, p. 100-108, p. 102.

(33) V. V. Sedov, « Drevnerusskoe yazycheskoe svyatilishche v Peryni », Kratkie soobshcheniya Instituta Istorii Materyalnoj Kul'tury AN SSSR, 50, 1953, p. 92-103 ; Id., « Novye dannye o yazycheskom svyatilishche Peruna », Kratkie soobshcheniya Instituta Istorii Materyalnoj Kul'tury AN SSSR, 53, 1954, p. 105-108.

يتبع ذلك فقرة عن العبيد، ثم يعود المؤلف إلى التنظيم المحارب:
هذا الملك له خليفة يسوس الجيوش ويواقع الأعداء ويخلفه في رعيته⁽³⁸⁾.

لدينا هناك بوضوح شديد، حتى لو لم يتم تسميتها، وصف للدروزينا، وهي فرقة المحاربين التي، تحيط بالأمراء الروس على نحو تقليدي⁽³⁹⁾. هذا المصطلح وكذلك المؤسسة معروفان جيداً، ولا يزالان موجودين في القصص الأسطورية التي هي موضوع السطور، وتلك الأغاني الملحمية العظيمة التي جمعت في القرن التاسع عشر. المقصود هنا ككل خاص من أشكال عصبة الرجال - Männerbund ، وهي مؤسسة محاربة هندو أوروبية⁽⁴⁰⁾، ككنها مرتبطة هنا بالملك. فالكلمة الروسية - druzhina - زوجة - نفسها لها مرادف اسكندنافية، * drótt - رب-، لكنها مصطلح مشتق من الأسماء المركبة، مثل dróttinn، «اللورد، سيد الحرب»، التي عفا عليها الزمن. في الواقع، منذ حوالي عام 1000، تم استبدال * drótt بمؤسسة أخرى،

(38) Ibid.

(39) L. Niederle, Slované starožitnosti, op. cit., p. 477-490, dresse la liste des témoignages littéraires sur l'organisation guerrière des Slaves. Il n'insiste toutefois pas assez sur la différence qui existe entre la druzhina et une simple armée.

(40) Elle est aussi cependant connue des peuples turcs d'Asie centrale, mais dans des zones où préexistaient des peuplades nomades iraniennes (Scythes, Saces, etc.).

ومع ذلك، فهي معروفة أيضاً من قبل الشعوب التركية في آسيا الوسطى، ولكن في المناطق التي تواجدت فيها الشعوب البدوية الإيرانية مسبقاً (الحشاشون، والساسانيون، وما إلى ذلك).

قطره 85 سم، وتحيط به ثمانية أعمدة أخرى أصغر (قطرها من 46 إلى 60 سم). محاطة جميعها جزئياً بقوس دائري مكون من سياج خشبي من الأوتاد. كان هذا المعبد، صغيراً جداً، سريع الزوال وقد تم بناؤه على الرغم من وجود كنيسة على بعد أمتار قليلة. تم اكتشاف هيكل آخر مشابه، لكنه غير منشور، إلى الجنوب من هذا الهيكل.

ومن المفارقات أن هذا الموقع الأخير، الذي يعود تاريخه إلى نهاية القرن التاسع ويقع في أقصى الغرب، هو الأقرب أيضاً إلى وصف ابن فضلان. لا يمكن أن تكون هذه المعابد الدائرية في الهواء الطلق، والتي توجد أيضاً لدى السلاف الغربيين، بسبب التأثير الاسكندنافي، حيث لا يوجد نموذج مشابه معروف بين هؤلاء.

دعونا ننتقل إلى الهيكل المكرس لجميع الآلهة الذي وصفه الرحالة بإيجاز: هذا المبنى غامض للغاية، ومن ثم شائع جداً، بحيث لا يمكن استخلاص أي شيء منه، خاصة في حالة عدم وجود آلهة محددة.

الدروزينا

قبل أن ننظر إلى طقوس جنازة الزعيم، دعونا ننتقل إلى نهاية نص ابن فضلان ووصفه للتنظيم الذي يحيط بملك الروس، لأنه وصف يتسم بالغرابة.

ومن رسم ملك الروس أن يكون معه في قصره أربعمائة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده. فهم يموتون بموته، ويقتلون دونه⁽³⁷⁾.

(37) Voyageurs arabes..., op. cit., p. 64.

إلا أنه لم يحدث حتى مطلع القرنين العاشر والحادي عشر في روسيا⁽⁴⁴⁾. عدد أعضاء هذه الفرقة، الذي قدمه ابن فضلان: 400، وهو رقم ملفت للنظر، وفي هذه الحالة، لا يجده المرء في العالم الاسكندنافي، ولكنها تدخل في ترتيب الأفكار لما هو موجود في أماكن أخرى من العالم الهندي الأوروبي: رومولوس، أول ملوك روما، اصحابه 300 من Celeres الحرس الشخصي؛ ويحيط بملك سبارتا 300 Hippeis («الفرسان»)، والملوك الأخمينيون لديهم 365 شاباً بوصفهم حراساً، أما الملك الأيرلندي الأسطوري كونشوبار فيرافقه 365 شاباً⁽⁴⁵⁾. وعدد أعضاء hirð الحاشية أعلى بكثير.

إن حقيقة أن هؤلاء الرجال يجب أن يموتوا

(44) On aperçoit, dans les traités passés entre les Rous et les Byzantins au xe siècle, une ébauche de druzhina, cependant, il n'est question que de bojars, indifférenciés, entourant le prince de Kiev : I. Sorlin, « Les traités de Byzance avec la Russie au xe siècle », Cahiers du monde russe et soviétique, 1961, part. I, vol. 2, no 2-3, p. 313-360 ; part. II, vol. 2, no 2-4, p. 447-475.

يمكننا أن نرى، في المعاهدات بين الروس والبيزنطيين في القرن العاشر، مسودة من الدروزينا، ومع ذلك، فإن الأمر يتعلق فقط بالبوغار، غير المتميزين، الذين يحيطون بأمر كبير: إ. سورلين، «معاهدات البيزنطيين» مع روسيا القرن العاشر»، Cahiers du monde Russe et soviétique، الجزء 1 المجلد 2، رقم 2-3، ص. 313-360؛ القسم الثاني، المجلد 2، رقم 2-4، ص. 447-475.

(45) B. Sergent, Les Indo-Europeens. Histoire, langues, mythes, Paris, Payot, 1995, p. 277. Pour d'autres exemples, souvent tirés de la mythologie : Id., « Les troupes de jeunes hommes et l'expansion indo-européenne », Dialogues d'histoire ancienne, 29/2, 2003, p. 9-27.

بالمعنى الأوسع، hirð - حاشية أو بلاط - والتي لها وظيفة لم تعد حربية تماماً لأن هذه المجموعة تضم النساء والموظفين الحكوميين والشعراء المغنين⁽⁴¹⁾. ومع ذلك، لا ينبغي أن يشير هذا التوازي الاشتقاقي إلى أن أحدهما مشتق من الآخر: كلمة druzhina هي في الواقع كلمة تعني الشعوب السلافية، بنفس المعنى في كل مكان في الماضي⁽⁴²⁾. وبالمثل، تماماً كما انتقل العالم الاسكندنافي من رب drótt إلى hirð - حاشية أو بلاط أكثر تعقيداً وتعددًا، توسعت الدروزينا druzhina أيضاً في وقت لاحق وأصبحت أكثر تعقيداً، حتى أنها انقسمت بين Malaya druzhina - - حارس النخبة بمعنى من المعاني، وقاعدة الـ druzhina، والتي تضم جنوداً آخرين، أو أعضاء بسيطين من الحاشية أو خدماً⁽⁴³⁾. ومع ذلك، رغم أن التغيير حدث في حوالي عام 1000 في الدول الاسكندنافية،

(41) R. Boyer, Les Vikings..., op. cit., p. 96. En dehors de quelques sources littéraires qui mentionnent la hird comme une suite, une cour, nos principales sources a son sujet, norvégiennes, sont tres tardives: le Hirdskra (Livre de la hird) et le Konungs skuggsjá (Miroir du roi), tous deux du xiiiie siècle. Pour l'ensemble de ce dossier, voir:

H. J. Orning, Unpredictability and Presence. Norwegian Kingship in the High Middle Ages, Leiden, Brill (The Northern World, 38), 2008.

(42) M. Vasmer, Russisches etymologisches Wörterbuch, vol. 1:

A-K, Heidelberg, Winter, 1953, p. 373-374. sv. «Druzhina»: vieuxbulgare družina, serbocroate družina, slovene družina, tcheque družina, polonais družyna. Localement, le mot a pu prendre le sens d'«équipe», «société», «compagnie».

(43) D. Nicolle, Armies of Medieval Russia 750-1250, Oxford, Osprey Publishing, 1999, p. 18-20.

الاكتشافات الأثرية أو في الأدب، ولا سيما في رواية دفن الإله بالدر Baldur. في الواقع، وُضِعَ جسد الإله في قاربه، وألقي في البحر بعد أن اضمرت فيه النار. وعندما حملت جثته على متن السفينة، ماتت زوجته من الحزن⁽⁴⁷⁾. لدينا مثال آخر، وهو مثال أدبي، طرحه سنوري ستورلسون. (وسنوري ستورلسون (Snorri Sturluson؛ 1179 - 1241) قائد سياسي، ومؤرخ، وشاعر، وناقد، وراوي قصص أيسلندي، يعد رمزاً في الأدب النوردي في القرون الوسطى. كان رئيس المحكمة العليا الأيسلندية، وكان تابعاً للملك هاكون الرابع من النرويج. مؤلف «إدا النثرية» (Snorra Edda) و «هيمسكرينغلا» (Heimskringla)، تاريخ الملوك النرويجيين. بعد أن فسدت علاقته مع هاكون تم إعدامه بطلب من الملك. م) نجدها في الفصل السابع والعشرين من ملحمة الملوك Ynglinga Saga وهي تتعلق بملك السويد هاك Hake، الذي يفترض أن يكون قد عاش على الأقل خمسة قرون قبل سنوري⁽⁴⁸⁾. ومع ذلك، لا توجد هنا إشارة إلى امرأة ضحي بها أو ماتت معه، لكن هناك محاربو الملك هم الذين ماتوا معه في المعركة. وأخيراً، هناك اقتباس من ساكسو غراماتيكوس (وهو مؤرخ وشاعر دنماركي عاش تقريبا بين عامي 1150 - 1220، وكتب Ges-ta Danurum (الأعمال الدنماركية) ويعدُّ أهم

(47) Snorri Sturluson, Gylfaginning, 49, dans L'Edda : recits de mythologie nordique, F.-X. Dillmann (trad.), Paris, Gallimard (L'aube des peuples), 1991, p. 89-93.

(48) Snorri Sturluson, Ynglinga Saga, XXVII, dans Heimskringla, part two, Sagas of the Norse Kings, S. Laing (trad.), P. Foote (trad.rev., intr.), Londres, Dent (Everyman's Library), 1961, p. 24.

مع ملكهم لم تكن حتى معطى إسكندنافياً؛ على العكس من ذلك، يجب على افراد الحاشية الانتقام منه، إذا كان الموت عنيفاً. من ناحية أخرى، نجد فكرة السلوك الانتحاري بين السلتيين، مع «الجنود» التي ذكرها قيصر:

على الرغم من أن هذا الاستسلام (استسلام شعب السوتيات) - بعد مقاومة شرسة - كان يستحوذ على انتباه جميع جنودنا، على جانب آخر من المدينة، ظهر أدياتوانوس، قائدهم الأعلى، مع مائتي رجل مخلصين له - يسمون جنوداً - وحالتهم هي كما يلي: أن يشاركوا مع من كرسوا له ولائهم بجميع مزايا الحياة؛ ولكن إذا أصابه شيء من سوء الحظ، يتحملون وزر المصير نفسه أو يقتلون أنفسهم؛ لم يتم العثور على أي منهم، في الذاكرة الحية، لرفض الموت، عندما يموت الشخص الذي كرسوا ولاءهم له⁽⁴⁶⁾.

هنا مرة أخرى، نجد في الوصف الذي قدمه ابن فضلان عناصر ليست من سمات الإسكندنافيين ولا السلافيين وحدهم؛ فهي عناصر هندو أوروبية بشكل عام.

مراسم الجنازة

ماذا عن مراسم الجنازة الشهيرة هذه بدفن رئيس في قارب؟ بالتأكيد، وبشكل عام، نجد أوجه التشابه الرئيسة لها في العالم الاسكندنافي، سواء في

(46) César, Guerre des Gaules, III, 22. Cf. aussi VII, 40, pour la meme structure autour du chef Litaviccus a Gergovie ; Plutarque, Sertorius, 14, 5, et Valere Maxime, Des dits et faits memorables, II, 6, 10-11, pour la meme pratique chez les Celtiberes.

في شرق فنلندا، تم التنقيب عن قبور دفن فيها المتوفى في صندوق مجوف على شكل قارب مسطح القاع. وفي القرن التاسع عشر، في كاريليا، تم نحت التوابيت أيضاً على شكل صندوق يسمى رونكي runki («قارب مسطح القاع، زورق»). وعرف كل من اللابيين (هم سكان المنطقة الشمالية في عدد من دول شمال أوروبا والتي تعرف عندهم باسم سابمي-م) والماربيين (مجموعة عرقية فنلندية - أوغرية، عاشت تقليدياً على طول نهري الفولغا وكاما في روسيا. يعيش ما يقرب من نصف الماريين اليوم في جمهورية الماريين، مع وجود عدد كبير منهم في جمهوريتي باشكورتوستان وتتارستان. في الماضي، عرف الماريون الذين كانوا يسمون باسم «كيريميس» أو «كيريميسا» باللغة الروسية، (وكيرمس عند التتار. م) أيضاً هذه العادة، وفي أقصى الشرق، وضع الاوستياك Ostiak (وهم مجموعة من شعوب سيبيريا -م) موتاهم في قوارب صغيرة⁽⁵¹⁾. وأشار أيضاً إلى أنه في كاريليا الروسية، كان من المعتاد تغطية القبر بقارب قديم بشكل مقلوب. نحن في العالم

(51) A. F. Major, « Ship Burials in Scandinavian Lands and the Beliefs that Underlie them », Folklore, vol. 35, no 2, 1924, p. 113-150, p. 116. L'usage est aussi connu du peuple apparenté des Mansi : A. Barkalaja, Sketches Towards a Theory of Shamanism : Associating the Belief System of the Pim River Khanties with the Western World View, Tartu, Tartu University Press (Dissertationes folkloristicae Universitatis Tartuensis, 1), 2002, p. 78.

وأول عمل عن تاريخ الدنمارك وأول مساهمة دنماركية في الأدب. م)، هذا الاقتباس يتعلق بالملك فرودو الثالث، والذي يشير إلى أنه «يجب حرق جثة قائد المئة أو الحاكم في محرقة مبنية بسفينته الخاصة»⁽⁴⁹⁾. هذا هو الحال بالنسبة للأمثلة الأدبية الثلاثة، من المسلم به أنها متأخرة، تعود إلى (القرنين الثاني عشر والثالث عشر)، ولكن يبدو أنها تتفق مع علم الآثار⁽⁵⁰⁾. لذا فإن هذا لا يمثل مشكلة: فقد يكون جزء كبير من وصف الاحتفال الذي قدمه ابن فضلان من أصل إسكندنافي.

ومع ذلك، في وقت مبكر من عام 1924، كان من المفترض أن تجذب مقالة كتبها ألباني ف. ميجور انتباه الاسكندنافيين. قبل دراسة هذا النوع من المراسم بين الشعوب الاسكندنافية، وهي دراسة استأنف خلالها بالطبع شهادة ابن فضلان، ويذكرنا أن هذه العادة ليست خاصة بالعالم الجرمانى القديم. فالأمثلة التي قدمها مثيرة للاهتمام بشكل خاص.

(49) Saxo Grammaticus, Gesta Danorum, V, 8, 1, dans La Geste des Danois : livres I-IX, trad. du latin par J.-P. Troadec (trad.) F.-X. Dillmann

(prés.), Paris, Gallimard (L'aube des peuples), 1995, p. 212.

(50) A. Andrén, « Doors to Other Worlds : Scandinavian Death Rituals in Gotlandic Perspectives », Journal of European Archaeology, 1, 1993/1, p. 33-56, notamment p. 43. Pour une distribution de ce type de sépulture de part et d'autre de la Baltique : M. Gerds, « Scandinavian Burial Rites on the Southern Baltic Coast. Boat-graves in Cemeteries of Early Medieval Trading Places », dans Old Norse Religion..., op. cit., p. 153-158.

أحياء من شعب الدريفليان السلافي في قوارب⁽⁵⁵⁾. لكن الشهادة يصعب تفسيرها: هل تتصرف أولغا وفقاً لطقوس إسكندنافية أو سلافية، أم كليهما؟ من ناحية أخرى، لا يقدم علم الآثار أي دليل على هذه الممارسة في هذه المدة. ومع ذلك، يُلاحظ أنه خلال أواخر العصور الوسطى (القرن الثاني عشر والرابع عشر والخامس عشر بشكل أساسي)، تم اكتشاف توابيت بحرية متجانسة في منطقة نوفغورود، يحتوي اثنان منها على جسد في وضع منحرف: على الجانب، وأطرافه مطوية⁽⁵⁶⁾. في وقت لاحق، تم اكتشاف ثلاثة توابيت على شكل زورق مكون من قطعة واحدة من الخشب يعود تاريخها إلى القرن السادس عشر: من الواضح أن شكلها مستوحى من شكل قارب⁽⁵⁷⁾. وهذه لا يعود أصلها إلى وسط روسيا التاريخي، ولكن إلى مناطق كانت على اتصال طويل الأمد بالسكان الفنلنديين الأوغريين. غير أن الآثارية تاتيانا بانوفا غير متأكدة من أصل هذه التوابيت والتوابيت البحرية، وتعتقد أن أصلها مستوحى من توابيت خشبية قديمة (وبالتالي غير محفوظة مسبقاً). قد يشير وجودها في منطقة

(55) Chronique de Nestor (Recit des temps passes). Naissance des mondes russes, J.-P. Arrignon (éd., trad.), Toulouse, Anacharasis, 2008, p. 82-83 ; A. Koptev, « An Indo-European Funeral Ritual in the Russian Primary Chronicle sub anno 945 », Ollodagos, XXIV, 2010, p. 183-224 ; Id., « Reconstructing the Funeral Ritual of the Kievan Prince Igor (Primary Chronicle, sub anno 945) », Studia Mythologica Slavica, 13, 2010, p. 87-106.

(56) T. D. Panova, Au Royaume de la mort..., op. cit., p. 63 et 92-93.

(57) Ibid., p. 73-75.

الفنلندي الأوغري. بالتأكيد، قد تكون الشعوب الكاريليانية واللابيونية والفنلندية قد خضعت للتأثير الاسكندنافي في الماضي، لكن ماذا عن شعوب التشيريمائيس⁽⁵²⁾ والأوستياك⁽⁵³⁾؟ أخيراً، يشير ابن فضلان إلى أنه ليس الرؤساء فقط هم الذين دفنوا بهذه الطريقة، ولكن حتى الفقراء، الذين يوضعون في قارب مصنوع لهذه المناسبة، فيُحرقون، بينما في الدول الاسكندنافية، يعد الدفن بقارب امتيازاً، على ما يبدو.

في روسيا نفسها، الوضع غامض للغاية. لكننا نعلم من خلال مصدر يعود إلى القرن الرابع عشر أن القديس غليب دُفن بين جذعين مجوفين، «تحت ناساد»، أي قارب مكون من قطعة واحدة من الخشب ذات جوانب مرتفعة⁽⁵⁴⁾. ويمكننا أن نضيف إلى ذلك شهادة كرونكيل نستور»، في عام 945، والتي تُظهر كيف أن الأميرة أولغا من كييف، انتقمت من زوجها إيغور، بدفن سفراء

(52) Actuellement les Mari.

(53) Actuellement les Khanty.

(54) B. A. Kolchin, Wooden Artefacts from Medieval Novgorod, vol. 1 : Text, A. V. Chernetsov (éd.), Oxford, BAR (British Archaeological Reports. International Series, 495), 1989, p. 105 ; T. D. Panova, Au Royaume de la mort. Les rites funéraires urbains en Russie (xie-xvii siècles après J.-C.). Pathographie au Kremlin de Moscou, Paris, De Boccard (Pathographie, 3), 2009, p. 40 ; d'après la copie par Sylvestre du Recit sur Boris et Gleb, Rossijskij gosudarstvennyj arkhiv drevnikh aktov (= Archives d'état des chartes anciennes de Russie, Moscou), F. 381, no 53.

كانت طوعية، تجعل وظيفتها بعد وفاتها واضحة للغاية: إنها تعمل كزوجة للمتوفى. بالتأكيد، عثر على مقابر في جزيرة بيركا، في السويد، تحتوي على أزواج. لكن تبين في كثير من الأحيان أن الجثث لم تُدفن في نفس الوقت، وعندما يتم دفنها، لم يتم الكشف عن التضحية بامرأة. من ناحية أخرى، فقد لوحظت تضحية الرجال في بعض المقابر في الدنمارك⁽⁵⁹⁾. في كثير من الأحيان، يتم قطع رأس المضحى به. يمكن أن تكون إحدى الحالات، التي عُثر عليها في جزيرة مان، مشابهة لوصف ابن فضلان: في بلاتير (تل الفاينج)، تم التضحية بشابة، وكاد رأسها ينفصل عن جسدها بضربة سيف⁽⁶⁰⁾. ومع ذلك، كما في حالات التضحية البشرية الأخرى بدعوة جنائزية تم اكتشافها في العالم الاسكندنافي، يتم وضع جسد الضحية في موضع ثانوي، في الجزء العلوي من المدفن الذي يغطي القبر⁽⁶¹⁾. بينما عند ابن فضلان، توضع الفتاة بجانب الرجل على قدم المساواة.

هنا مرة أخرى، يمكننا بلا شك أن نجد أوجه تشابه بعيدا عن العالم الاسكندنافي. ففي مقال قديم، يُفصّل إن. ب. جوبسون المعلومات التي كانت سائدة في ذلك الوقت (1927) عن أقدم عادات جنازة السلافيين⁽⁶²⁾. وبعض نماذجها

(59) J. Jesch, *Women in the Viking Age*, Woodbridge, The Boydell Press, 1991, p. 24-26.

(60) G. Bersu et D. M. Wilson, *Three Viking Graves in the Isle of Man*, Londres, Society for Medieval Archaeology (Monograph Series, 1), 1966, p. 45-62 ; N. Price, « Dying and the Dead... », art. cit., p. 266.

(61) Ibid., p. 266-267.

(62) N. B. Jopson, « Early Slavonic Funeral Ceremonies », *The Slavonic Review*, vol. 6, no 16, 1927, p. 59-67.

نوفغورود إلى التفكير باستيراد اسكندنافي، ولكن أقدمها الذي يعود إلى القرن الثاني عشر، والفجوة الزمنية مع القبور على شكل قوارب أو على شكل قوارب شمالية له أهمية كبيرة يجعل من الممكن استبعاد أي اتصال مع العالم الإسكندنافي⁽⁵⁸⁾.

في رواية ابن فضلان، هناك أيضًا حقيقة يصعب العثور عليها في العالم الاسكندنافي: يتم التضحية بجارية صغيرة بعد أن ينام معها اصحاب الزعيم الأساسيون. ثم قتلوها بعد أن رقدت بجانب سيدها بطعنة خنجر وخنقها بحبل. إن وضعها، وهي ممتدة بجانب سيدها، وحقيقة أن وفاتها

(58) A. V. Artsikhovskij, *Novgoroskie gramoty na bereste (is raskopok 1952 goda)*, Moscou, Izdatel'stvo Akademii Nauk SSSR, 1954, p. 59, no 56 ; A. V. Artsikhovskij et V. I. Borkovskij, *Novgoroskie gramoty na bereste (is raskopok 1956-1957 godov)*, Moscou, Izdatel'stvo Akademii Nauk SSSR, 1963, p. 120-122, no 292 ; A. V. Artsikhovskij, *Novgoroskie gramoty na bereste (is raskopok 1958-1961 godov)*, Moscou, Izdatel'stvo Akademii Nauk SSSR, 1963, p. 103-104, no 403 ; M. Haavio, « The Oldest Source of Finnish Mythology », *Journal of the Folklore Institute*, vol. 1, no 1/2, 1964, p. 45-66, et surtout W. Vermeer, « Aspects of the Oldest Finnic Poem and Related Texts (Novgorod birchbark Documents 292, 56 and 403) », dans *Studies in West Slavic and Baltic Linguistics*, A. A. Barentsen, B. M. Groen et R. Sprenger (éd.), Amsterdam / Atlanta, Rodopi (Studies in Slavic and General Linguistics, 16), 1991, p. 315-360 (avec bibliographie antérieure). Leurs remarques portent sur Novgorod nos 292, 56 et 403. Il s'agit de trois documents seulement, mais l'un d'eux, le no 292, datant du xiiiie siècle, est particulièrement remarquable en ce sens qu'il s'agit d'un document païen, charme ou fragment d'épopée mentionnant le dieu tonnant du ciel Jumala et sa fleche (la foudre).

المعبرة التي تتعلق بحقيقة أن المتوفى لا يذهب بمفرده إلى العالم الآخر.

وهكذا، يقول القديس بونيفاس، رسول الألمان، عن نساء الونديين (وهو الاسم التاريخي لقبائل السلاف الغربية التي تعيش بالقرب من مناطق الاستقرار الجرمانية) بأنهن:

يرفضن الاستمرار في الحياة عندما يموت أزواجهن. وهؤلاء النساء يرين أنفسهن جديرات بالثناء إذا قتلن أنفسهن بأيديهن ثم يحرقن على محرقة أزواجهن⁽⁶³⁾.

في القرن السادس، قدم الإمبراطور البيزنطي موريشيوس تقريراً حول موضوع نساء السلافيين الجنوبيين:

كثير منهن يرين أن موت أزواجهن موتهن، فيخنقن أنفسهن عن طيب خاطر، ولا يجدن الفرح في الترميل⁽⁶⁴⁾.

لقد عُثر على هذه المعلومات، فيما يتعلق ببلغاريي نهر الدانوب، ومن ثمَّ السلاف، في حكاية

(63) Boniface de Mayence, *Lettres*, XXXII, 124, d'après C. H. Talbot, *The Anglo-Saxon Missionaries in Germany. Being the Lives of SS. Willibrord, Boniface, Leoba and Lebuin Together with the Hodoepericon of St Willibald and a Selection from the Correspondence of St Boniface*, Londres et New York, 1954, Sheed et Ward, p. 120-126.

(64) *Das Strategikon des Maurikios*, XI, 4, 18-22, E. Gamillscheg (éd., trad.), *Corpus fontium historiae byzantinae*, Series Vindobonensis, 17, Wien, Verlag der Österreichischen Akademie der Wissenschaften, 1981 ; traduction anglaise de G. T. Dennis, *Maurice's Strategikon. Handbook of Byzantine Military Strategy*, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 1984, p. 120.

عربية رومانسية من القرن العاشر: عاداتنا، أيها اليوناني، هي أن الزوجين لا يفترقان أبداً، حتى لو طال الموت أحدهما. إذا مات الزوج قبل الزوجة، نضعها على سريرها، ونضع زوجها بجانبها، وننزلهما معاً في بئر⁽⁶⁵⁾.

في وقت لاحق، تحدث الجغرافي العربي المسعودي عن الشيء نفسه عن نساء الروس، اللواتي أحرقن مع أزواجهن عندما مات الأخير⁽⁶⁶⁾. إن توافق هذه الشهادات مع رواية ابن فضلان قوي جداً: فعند الرحالة العربي، تكون الجارية طوع سيدها، تموت طعناً وخنقاً، وربما تكون بمثابة زوجة مولاه. لدى موريس، نجد أن وفاة الزوجة طوعياً، فهي تموت خنقاً. بما أن هذا الوصف من قبل الإمبراطور يشير إلى السلاف الجنوبيين، فمن الواضح أنه ليس من الضروري على الإطلاق إجراء مقارنة، مع التضحية بالنفس للآلهة أودين، شنقا وليس خنقا بسيطاً⁽⁶⁷⁾. كما يقترح ذلك ينس بيتر شجود.

(65) M. Canard, « Les aventures d'un prisonnier arabe et d'un patrice byzantin a l'époque des guerres bulgare-byzantines », *Dumbarton Oaks Papers*, 9-10, 1955-1956, p. 51-72, p. 59.

(66) D'autres auteurs médiévaux arabes rapportent des éléments de coutumes funéraires attribués a la Rus' : on les trouvera dans l'inventaire de ces textes dressé par J. E. Montgomery, « Arabic Sources on the Vikings », dans *The Viking World*, op. cit., p. 550-561. Il nous a cependant semblé préférable d'insister sur des sources antérieures relatives aux Slaves du Sud.

(67) J. P. Schjodt, « Ibn Fadlân's Account of a Rus Funeral... », art. cit., p. 141.

التضحية،

It appears that nothing in Ibn Fadlân's testimony is exclusively Scandinavian, apart perhaps from the funeral pyre established in a boat. It is therefore particularly risky to consider this very detailed text as a source of reliable information on the Vikings or Varegans, without a minimum of criticism. The reverse is also true: Slavists would be wrong to consider this account in the same way as the Scandinavians. If I have to answer the question of the ethnicity of Ibn Fadlân's Rous, with my comparative eye, I can only confess that I do not know. Scandinavianized Slavs? Slavicized Scandinavians? Both are possible. We will remember that at the beginning of his account, Ibn Fadlân indicates that he left with three companions: Sûsan ar-Rassî, the envoy of the Caliph, Takîn, a Turk, and a man named Bâris, that is to say, Boris, who was designated as a Slav.

(68) Voyageurs arabes..., op. cit., p. 1083, n. 1 de la p. 28, considere ces deux derniers comme des interpretes.

إن تضحية الزوجة بالنفس التي وثقتها النصوص لدى السلافيين، لا توجد في الدول الاسكندنافية، باستثناء شهادة سنوري ستورلسون المتأخرة (القرن الثالث عشر) حول وفاة الإله بالدر، الذي لا تموت زوجته طواعية. ولكنها تموت كمدا وحزنا. وعلى حد علمنا، لم يكشف أي من قبور القوارب، أو حتى القبور على شكل قارب، عن زوجين.

النتائج

في نهاية المطاف، يبدو أنه لا يوجد شيء في شهادة ابن فضلان ما هو إسكندنافي حصرياً، ربما باستثناء المحرقة الجنائزية التي نُصبت في قارب. لذلك فمن الخطورة بشكل خاص عدّ هذا النص، مهما كان مفصلاً للغاية، كمصدر للمعلومات الموثوقة عن الفايكنج أو الفارانجيين، من دون تقديم حد أدنى من النقد. والعكس صحيح أيضاً: سيكون السلافيون مخطئين إذا نظروا إلى هذه القصة بنفس الطريقة التي ينظر بها الإسكندنافيون. إذا كان عن أن أجيب عن سؤال أصل الروس عند ابن فضلان، بعيني المقارنة، لا يمكنني إلا أن أعترف بأنني لا أعرف. هل السلافيون اسكندنافيون؟ أم الإسكندنافيون سلافيون؟ كلاهما ممكن. وتجدر الإشارة إلى أن ابن فضلان يشير في بداية روايته إلى أنه غادر مع ثلاثة من أصحابه: سوسن الرسي مولى نذير الخرمي، وتكين، التركي، ورجل اسمه بارس الصقالبي، أي بوريس، الذي يشار إليه على أنه سلافي⁽⁶⁸⁾.

المفاتيح: الروس، السلافيون، الاسكندنافيون، الفايكنج، الفارانجيين، المحرقة الجنائزية، طقوس الموت،